

## الأزمة... والفرصة

يذهب البعض إلى أن هناك من وجد في الأزمة المالية العالمية فرصاً للاستفادة منها ومن تداعياتها - إلى جانب الأغلبية التي أضررت - ويترجون في هذا الصدد أمثلة محددة للشراء والاستحواذ من جانب بعض الشركات والمصارف لشركات ومصارف أخرى عملاقة، مثلما حدث في حالات باركليز/ليمان براذر، وبنك أوف أمريكا/ميريل لينش، ولويدس تي إس بي/أتش بي أو أس.

فهل هناك دول يمكن أن تستفيد من هذه الأزمة، ولكن على أصعدة مختلفة عما حققته الشركات العملاقة؟.. هل من الممكن أن تحول دول ما هذه الأزمة إلى فرصة؟..

نستطيع أن نجيب عن هذا السؤال بـ"نعم كبيرة"، ولكن تحت شرط محدد، ألا وهو التعامل مع الأزمة المالية العالمية - التي تعصف باقتصادات متقدمة إلى جانب الصاعدة منها - على أنها أزمة كاشفة.. تتيح لصانعي القرار في هذه الدول اكتشاف مواطن الضعف وبواطن القوة..

ولعل أكثر ما يمكن اكتشافه في ضوء تداعيات الأزمة - على المستوى العام - أن حوكمة السوق هي حجر الزاوية لضمان عدم انفلاته، وكبح جماح شطحاته، خاصة في ظل غياب شرط المنافسة الكاملة اللازمة لاكتمال بنيان اقتصاد السوق.

وإذا انتقلنا من المنظور العام إلى دول الاقتصادات الصاعدة والناشئة - وهو ما يعنينا على وجه التخصيص في منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا - نجد أن الإصلاح الاقتصادي، عبر السعي إلى تأسيس اقتصادات قائمة على اقتصاد السوق، يصبح إصلاحاً جزئياً مشوهاً إذا لم يقترن بمشاركة كل أطراف المجتمع صاحبة المصلحة في صياغة وصنع السياسات الرامية إلى إيجاد توازن بين مصالح الأطراف المتعددة.

فلا يمكن للدولة منفردة أن تقوم بما يتوجب عمله في هذا الصدد، بل ينبغي إشراك كل أصحاب المصلحة، من قطاع الأعمال الخاص، والمجتمع المدني (بكل أطيافه من جمعيات الأعمال، واتحادات وغرف الصناعة والتجارة، ونقابات مهنية وعمالية، ومنظمات وجمعيات الأعمال غير الحكومية)، والأحزاب السياسية، والإعلام المستقل..... إلخ.

إن هذا يعني ببساطة، جعل الإصلاح الاقتصادي يرتكن إلى صيغة مؤسسية، تنأى به عن تضارب المصالح، أو تغليب بعضها على بعض.. ويعني بوضوح، ربط الإصلاح الاقتصادي بالإصلاحات السياسية اللازمة لنجاحه وديمومة نتائجه.

إن الأزمة كاشفة.. واقتناص الفرصة ممكن - بل واجب.. واكتشاف نقاط الضعف في ضوء الأزمة متاح - لمن يريد.. واتخاذ مواطن القوة كمنصات للانطلاق نحو النجاح وارد - مع توفر إرادة الفعل.

فهل لدينا تلك الإرادة.. وهل - بالأحرى - لدينا الجرأة على الانتصار؟..

